من وحي بعض أحوالنا

ان ما نطلبه اليوم خصوصاً ادباء ومفكرون متنوّرون كلامهم جامع شامل مانع، ينطقون العقل بالأناشيد والشعر بالفلسفة كما فعل أجدادهم من أمثال الخالد جبران والفيلسوف ميخائيل نعيمة وسواهما... لكن، هل من رأي لمن لا قرار له؟

ينبغي لأصحاب القرار أن يحتضنوا ولو إلى حدّ ما أدباؤنا ومفكرينا لئلا يبقوا في حروفٍ من ذهب في سجلّ التاريخ والحضارات العالمية ليس إلا. على النافذين أقله أن يدرجوا كتابات أولئك الشرفاء العقلاء في المناهج التعليمية والتربوية. ان بعض العلماء والمفكرين العرب استطاع الغرب في ما مضى الاستفادة من نتاجهم النّرّ بصفته مساهمة في بناء الصرح البشري النيّر. ولا يُمكن أحداً أن ينكر دور ابن رشد وابن سينا والرازي وغيرهم من العلماء والأطباء والرياضيين في ترسيخ أسس الحضارة الغربية. وسبق أن درّست خلال سنوات طويلة تراثنا العربي في جامعات فرنسا وبيّنت ما استطعتُ أهمية تدريس اللغة العربية في فرنسا وسواها.

إن احتضان أصحاب الرأي والفكر النيّر، شأنه أن يرسي أسس التطوّر الاجتماعي والسياسي الحقيقي. عندها لا تكون الانتفاضات والحراكات المختلفة مجرّد تنفيس عمّا يفتقر إليه الشعب من بديهيات الحياة. وان للثورات الحقيقية شروطاً ينبغي أن تتوفّر أهمها البواعث المشتركة أو المخططات الفلسفية، والمنهجية الصلبة، والأهداف الوطنية والإنسانية. الثورات إذا فكر فنهج فغايات.

الحكّام المستبِدّون يحاولون دون قيام هذه الثورات بإبقاء شعوبهم على فقرهم، ويعملون على نقيض مصالحهم..

يقمعونهم، وعندما يحين وقت تلبية حاجاتهم يدّعون لأنفسهم الحق في خيانتهم. وقد أخطأ بعض قادة الغرب إذ اعتقدوا ان المعارك التي دارت رحاها هنا وهناك قد خاضها «الثوار» في سبيل الديمقراطية وليس من أجل الثروات في باطن الأرض وقاع البحار، التي سيفيد منها قادة غربيون آخرون!

ويا أيها النافذون، إيّاكم من الكذب ومشتقاته، إيّاكم من نهب إرادة الحياة عند شعوبكم قبل نهب أموالهم! اركنوا يا رعاكم الله إلى ضميركم الحيّ وإلى العمل بما يأمركم به، ما يأمر عليكم ظالمٌ ولا عدوّ!..

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه